العرب
الأحد 2021/08/15
السنة 44 العدد 12149

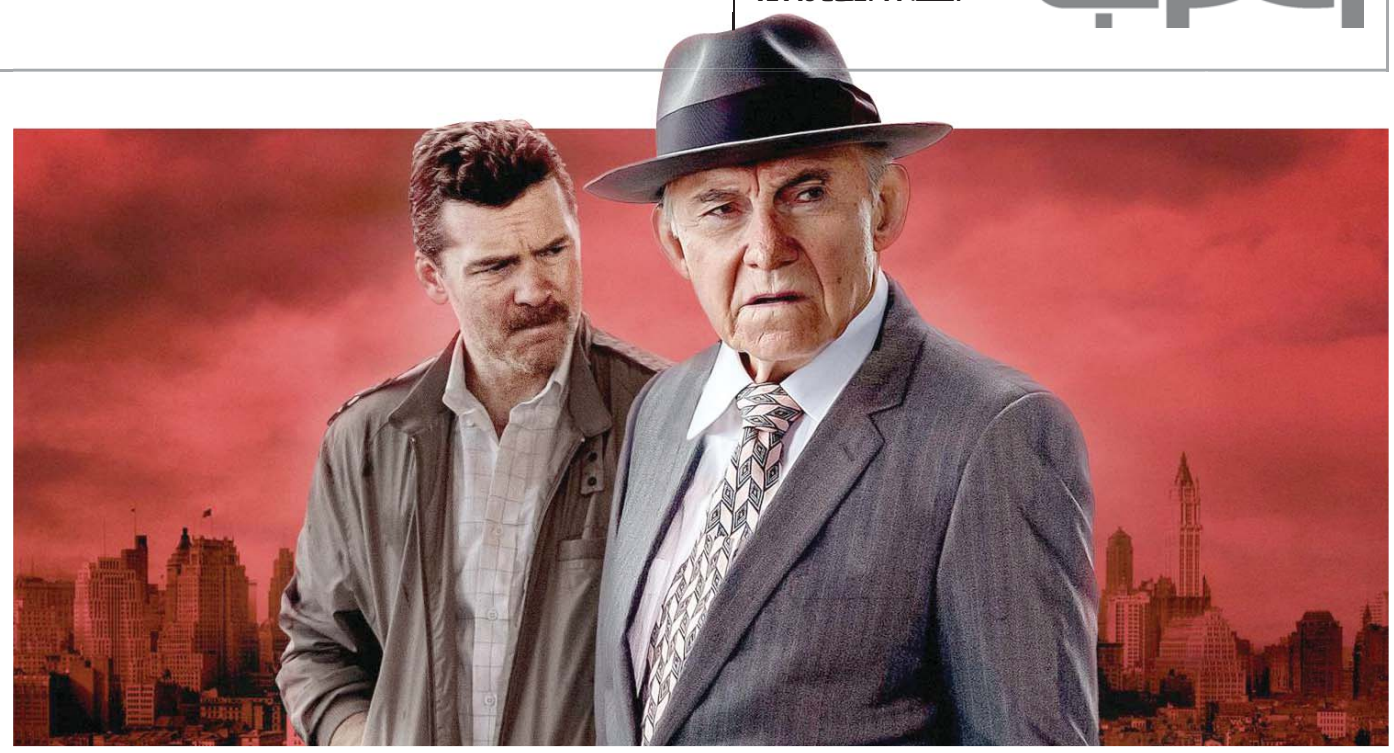

معالجة سينمائية مختلفة عن السائد

«لانسكي» سيرة درامية لأقوى رجال المافيا

شخصية تتظاهر بالاستقامة والطيبة فيما تخفي ركاما من الأحقاد

ما بين إيطاليا والولايات المتحدة ثمة فاصلة جغرافية شاسعة لا يقربها، سينمائيا، سوى نوع سينمائي ذو شعبية واسعة وما يزال يجذب له جمهورا واسعا وهو سينما المافيا والجريمة المنظمة، وهو ما ينخرط فيه فيلم "لانسكي" الذي يسرد سيرة واحد من أقوى رجال العصابات.

طاهر علوان
كاتب عراقي

تناولت السينما الأميركية قصص ازدهار العديد من العائلات الإيطالية المهاجرة في مختلف الولايات الأميركية، عبر امتهانها عمل المافيا حتى صارت علامة فارقة على مستوى العالم.

ولا تنسى الذاكرة السينمائية سلسلة أفلام العرّاب التي ظهر أول فيلم منها في العام 1972 عن رواية لماريو بوزو وإخراج فرانسيس فورد كوبولا ثم ظهر الجزء الثاني بعد ذلك بعامين لتختتم السلسلة بالجزء الثالث في العام 1990.

خلال ذلك وحتى اليوم أنتجت العشرات من الأفلام عن تلك السيرة الواسعة التي تجمع ما بين الجريمة والحركة والعنف والجانب التاريخي.

سيرة ذاتية

يأتي فيلم "لانسكي" للمخرج وكاتب السيناريو إيثان روكاواي ليشكل امتدادا لهذا النوع الفيلمي من زاوية السيرة الذاتية لرجل المافيا ماير لانسكي (يؤدي الدور الممثل هارفي كيتل) بعد ظهوره في أكثر من 150 عملا ما بين فيلم سينمائي ومسلسل تلفزيوني.

وسيرة هذا الرجل "المافيوزي" وزعيم جمعية الجريمة المنظمة وبارون صالات القمار في الولايات المتحدة وحتى كوبا يتم عرضها من خلال فكرة قيام الصحافي ديفيد ستون (الممثل سام وورثينغتون) بتأليف كتاب عن لانسكي يشترط فيه ألا يتم نشر ما فيه من أسرار إلا بعد موت لانسكي نفسه، وقد تجاوز الثمانين من عمره.

ويستند الفيلم إلى معالجة سينمائية بدت مختلفة عن السائد من أفلام السيرة الذاتية النمطية وذلك من خلال كسر الجمود عن وجهة النظر الواحدة والوحيدة إلى زوايا متعددة، ومن ذلك جعل المفردات الحياتية للصحافي جزءا من البناء السردي ولكي يتخلص المخرج من أسر الشكل الوثائقي القائم على سرد الأحداث من وجهة نظر واحدة.

وفي موازاة ذلك اعتمد المخرج خطوطا متعددة في سرد القصة السينمائية ومنها مثلا مشاهد فلاش باك التي جاءت منسابة ومكملة لحديث الذكريات الذي ظل لانسكي يتنقل بين محطاته وخاصة تلك المواقف الحادة والصارمة في حياته منذ الطفولة والتي شكّلت شخصيته التي تتظاهر بالاستقامة والطيبة فيما تخفي وراءها ركاما من الأحقاد والجرائم.

سيرة الجريمة شكلت مساحة مهمة في هذا الفيلم وهي في الواقع امتداد نمطي لأفلام المافيا ونزعاتهم الانتقامية التي لا ترحم تجاه خصومهم ومن ذلك تتبع صعود لانسكي المتدرج سواء في امتلاك الثروة أو المكانة الاجتماعية.

تلعب ثلاث شخصيات نسائية أدوارا مكملة في هذه الدراما المثيرة الأولى هي زوجة لانسكي التي بينه وبينها الكثير من الاختلافات فهي تعلم سيرته الإجرامية وهي تفسر ما أصاب ابنهما من مرض في الأعصاب والدماغ إنما هو انتقام إلاهي من الجرائم التي كان قد ارتكبها لانسكي في حياته، مما يدفعه وهو في ثورة الغضب إلى إلقاء زوجته في مصحة مع استخدام الصعقات الكهربائية للدماغ وبذلك دمر حياتها.

بناء درامي

ومن جهة أخرى هنالك امرأتان تكملان دور تلك المرأة وهما طليقة الصحافي من جهة وصديقته التي هي الأخرى ترتبط برجل مخدرات وتجندها أجهزة المخابرات الأميركية للتجسس على الصحافي ومعرفة أسرار لانسكي التي يفشيها للصحافي وخاصة معرفة مصير الملايين من الدولارات من غسيل الأموال وصالات القمار التي اختفت من حسابات لانسكي ولا يعرف مصيرها.

> سيرة الجريمة شكلت مساحة مهمة في هذا الفيلم وهي في الواقع امتداد نمطي لأفلام المافيا ونزعاتهم الانتقامية

ويمضي البناء الدرامي على أساس هذا التراكم الصوري والسردي الذي عمد المخرج من خلاله إلى كشف ملامح النسيج الاجتماعي في المجتمع الأميركي الذي احتضن المافيا وتركها تطلق أذرعها الأخطبوطية وصولا إلى التحالف مع باتسيتا الزعيم الكوبي المشهور الذي ارتضى التحالف مع مافيا لانسكي لكي تنتعش صالات القمار في نسخة كوبية.

ومن الخطوط السردية الأخرى التي تكمّل هذه الدراما المتصاعدة هي علاقة لانسكي بإسرائيل وهو الذي أظهر دعمه لها إبان ذروة عمليات الاستئصال والتهجير للشعب الفلسطيني وخاصة ما بعد النكبة، ما هو إلا بهدف اتخاذ تل أبيب مكانا لغسيل الأموال حتى أن تلك الثروة التي تفتش عنها السلطات الأميركية مخبّأة في أحد البنوك الإسرائيلية، فضلا عن شبكة خطيرة من الزبائن الذي بقوا حتى اللحظة الأخيرة وهم مخلصون للانسكي.

بالطبع يلفت النظر هذا النوع من السيناريو الذي اشترك بكتابته المخرج مع آخرين في كونه يمكن أن يطلق عليه بأنه سيناريو هيجيني اعتمد تنوعا ملفتا للنظر بين مستويات سردية متعددة وغيّب بشكل أو بآخر النمطية التي اعتمدتها أفلام السيرة الذاتية، بل إن هنالك من النقاد من لم يقتنع وانتقد الفيلم لجهة إدخال جوانب من حياة الصحافي الذي يجري لقاءات متواصلة يدون فيه ذكريات ومذكرات لانسكي والقول إنه فيلم مكرس لسيرة ذاتية شخصية إشكالية ولهذا لا يستوجب الأمر الزج بشخصيات أخرى.

ولا بد من التوقف عند الأداء البارع والمتوازن لشخصية لانسكي في مراحلها المتعددة وخاصة في المراحل الأخيرة بما يتطلبه ذلك من إشادة بتلقائية ورصانة أداء هارفي كيتل الذي يكون قد أضاف منجزا مهمّا لنفسه من خلال أداء هذا الدور في دراما ممتعة ومتوازنة.

السياسيون على الشاشات ما بين السيرة الذاتية والكوميديا السوداء

لطالما اجتذبت سيرة السياسيين ومواقفهم اهتمام السينمائيين سواء أكانوا منتجين أو كتابا للسيناريو أو مخرجين، ففي مسار أولئك الساسة الكثير من الدراما وما يكفي من الصراعات لكي تجتذب الجمهور العريض، ومن جهة أخرى كان على السينما أن تخلد ساسة آخرين من الذين تركوا آثارا بالغة الأهمية سواء على صعيد شعوبهم أو شعوب العالم.

بالإمكان إحصاء عدد كبير من الأفلام من هذا النوع وبعضها بقي في الذاكرة لكونه برع في تشكيل صورة السياسي سلبا أو إيجابا.

السياسيون المراوغون وأولئك المتآمرون خلف الستار وصانعو الحروب ومجانين السلطة والمستبدون كلهم يجتمعون في بوتقة سياسية واحدة تدفع السينمائيين إلى تقديمهم على الشاشات.

مؤخرا قدمت السينما البريطانية فيلم تشاريوت بالتزامن مع أزمة بريكست التي ما تزال تداعياتها وتعقيداتها قائمة، والفيلم يتحدث عن سياسي مراوغ ومحتال هو لين لوي جونز الذي يقرر أن يفوز في انتخابات ما بعد بريكست بأي ثمن، وبالطبع بالنصب والاحتيال والكذب، تسانده في ذلك زوجته في مقابل مدافعة عن الحريات وحقوق الإنسان وشخصية مبدئية لا تقوى على مواجهة آلاعيبه الخبيثة، والفيلم من إخراج روب سورمان وهو ينتمي إلى نوع من الكوميديا السوداء وهو يعرض في الصالات الآن.

في المقابل وما دمنا في أجواء الانتخابات، هنالك مشهد الانتخابات الأميركية في العام 2016، وذلك ما يتحدث عنه فيلم "لا يقاوم" من إنتاج 2021 ويتحدث عن الصراع التقليدي ما بين الجمهوريين والديمقراطيين في الانتخابات الأميركية وما تشهده الحملات الانتخابية من أساليب ترويج وخداع ونزاع بين الخصوم في دراما تراوحت ما بين إظهار النعرات الأنانية والحماس الشعبي وبين طموح الوصول إلى المنصب بأي ثمن.

هنالك بالطبع المزيد في ما يتعلق بما يطمح إليه الساسة في وسط انقسام مجتمعي ما بين قيم يتشبث بها الناس في القرى والضواحي ومواقف موازية تجاه الهجرة والمهاجرين وضجيج وخطابات ووعود كالعادة، كل ذلك يكتظ فيه هذا الفيلم للمخرج جون ستيوارت.

أما في فيلم "الشيء الأخير الذي أراده" للمخرج دي ريس ومن تمثيل آن هاثاواي وبين أفليك، فهنالك الصحافية الشابة والطموحة التي تجد نفسها في أجواء عاصفة ترتبط بالانتخابات الرئاسية لعام 1984 وهي صفحة أخرى من التاريخ السياسي الأميركي لا تغيب عنها الصراعات التي سادت تلك الحقبة، ومنها فضيحة إيران كونترا، إذ تنهمك الصحافية في كشف ألاعيب الساسة وما يجعل حياة الناس تكتنفها الكثير من المصاعب وهو ما تكرس جهدها له، لكن الأمر ليس كذلك بالنسبة إلى مديرها الذي يريدها أن تكرس جهدها للانتخابات بينما تلوح لها أسرار ما تلبث أن تفتضح وتتعلق بنشاط الولايات المتحدة في أميركا الوسطى، وهو ما سوف يكون له تداعياته اللاحقة وفي كل الأحوال يبقى الصراع السياسي وصورة الساسة الانتهازيين هو الذي يطغى على هذا الفيلم.

في المقابل تظهر نزعات المنافسة في فيلم "متسابق المقدمة" للمخرج جيسون ريتمان الذي يقدم لنا وجها آخر لأولئك الساسة المتخبطين ما بين حياتهم الشخصية وبين اقتفاء الجمهور والصحافة لآثارهم وكل ذلك سوف يجري عشية الانتخابات الرئاسية لعام 1988، حقائق متناقضة تظهر عجز السياسي عن مواكبة اهتمامات المجتمع والصورة التي يريد أن يراها فيهم.

وإذا كنا قد توقفنا عند السياسيين الذين تحكى سيرتهم على الشاشات وفي الغالب يتم فضح سياساتهم وانتهازيتهم وليس تمجيدهم إلا قليل منهم، فإن انعكاسات ذلك السلوك السياسي على أرض الواقع كانت لها هي الأخرى مساحة مهمة فكل ما كان السياسيون يقدمون عليه كان له صدى على الطرف الآخر.

> السينما السياسية كرست موضوعاتها لإبراز الوجوه غير المرئية لأولئك الساسة وكشف صفقاتهم المشبوهة ومواقفهم وحتى قناعاتهم

وإذا أردنا مثالا على ذلك انعكاسات الحروب ومنها حرب فيتنام وقرارات الساسة في مقابل رفض الشعب وهو ما تجلى واضحا من خلال فيلم "محاكمة شيكاغو" المعروض حديثا.

في هذا الفيلم تتجلى الحياة الأميركية وهي تموج بالصراعات والمواقف المتعارضة ما بين شتى التيارات وخاصة لجهة تيارات اليسار ودعاة الحريات المدنية والمدافعين عن حقوق السود ثم التيارات المناهضة لحرب فيتنام.

هنا يتوقف المخرج أرون سوركين عند عيّنة مختارة من تلك الحقبة لسبعة من أشرس المعارضين لحرب فيتنام والذين انتظموا في تيارات وجماعات مناوئة للحرب وبما في ذلك تنظيم المظاهرات الحاشدة وخاصة إبان انعقاد مؤتمر الحزب الديمقراطي في العام 1968. إنه وجه آخر للولايات المتحدة شاهده العالم أجمع أو على الأقل سمع عنه، وجهها العنفي وحيث هجمات قوات الأمن ورجال الشرطة والشرطة السرية لا تتوقف عن استهداف التجمعات المناوئة للحرب.

الحاصل أن أجواء الانتخابات من جهة والحروب والصراعات تكشف الوجه الحقيقي للساسة، وبناء على هذا الاعتبار كرست ما يمكن أن نسميها السينما السياسية موضوعاتها لإبراز الوجوه غير المرئية لأولئك الساسة بمعنى الصفقات والمواقف والقناعات التي ليست بالضرورة تكون ظاهر للعيان أمام أنظار الرأي العام.

ومن جهة أخرى استمتع الجمهور العريض إما بنوع من السير الذاتية لأولئك الساسة أو لعرض خلفيات تاريخية جرت وقائعها في ما مضى أو قدمت السينما نوعا من الكوميديا السوداء التي أرادت من خلالها الاشتغال على نوع مطلوب من أنواع السينما السياسية.

* ط. ع

مهرجانات سينمائية تحت وهج الصيف وشراسة كورونا

المهرجانات السينمائية ليست إلا جزءا من مشروع الدبلوماسية الثقافية الناعمة أو هي جزء من مشروع متكامل للتنمية الثقافية والذي يتضمن دعما سنويا ماديا وتقنيا للإنتاج السينمائي ولمهرجانات السينما على السواء، فماذا إذا لم تتوفّر لا دبلوماسية ثقافية ولا تنمية سينمائية في تأسيس المهرجان السينمائي؟

لا يكاد يمر يوم إلا وهنالك خبر قادم من العراق يتعلق بمعضلة بلا حل فتكت بحياة العراقيين واستنزفت أموالهم وهي مشكلة انقطاع التيار الكهربائي مع تصاعد مخيف لتفشي فايروس كورونا، ولكن وفي موازاة هذا المشهد تقام مهرجانات سينمائية على مستويات مختلفة وبعضها لا شيء مهما فيه سوى عرض متشابك بواسطة جهاز داتا شو.

ليس مهما في أجواء ملتبسة كهذه القيمة الجمالية والإبداعية ولا عدد من يمكن أن يصابو أو أصيبوا بالفايروس من المجتمعين في تلك الصالات المكتظة بالناس، لأن الصور تظهر جمهورا وحضورا بلا تباعد اجتماعي ولا كمامات وهم يلتقطون صور السيلفي ويتصافحون ويتعانقون وكأن شيئا لم يكن.

بالطبع تقع هذه المناسبات وكثرة الفعاليات من هذا النوع في بلد بعيد كل البعد عن السينما فالصالات السينمائية التي ارتبطت بالوجدان العراقي والذاكرة العراقية وارتبطت أيضا بموقعها في أهم شوارع بغداد، تلك الصالات إما أنها اختفت واندثرت بعد الغزو والاحتلال الأميركي بعد 2003 أو أنها تحوّلت إلى مستودعات ومخازن تجارية.

وبقي الأمر مقتصرا على تجارة الصالات المكيّفة التي تقع في مولات تجارية شكلت ظاهرة جديدة أخرى على حياة العراقيين فمن جهة هنالك مولات ضخمة وصالات عرض حديثة تجاور مجتمعات الفقر والبطالة، فالعروض السينمائية ليست بالضرورة معنية بما هو على الجانب الآخر من تلك البلاد من صورة مأساوية قاتمة.

وأما إذا انتقلنا إلى المسألة الأخرى الأكثر أهمية في هذا الموضوع الإشكالي وهو السؤال عما يعرضون في تلك المهرجانات والصالات، وبداهة ومثل أي مهرجان محلي سوف يكون مطلب الإنتاج السينمائي المحلي هو الأساس، فكيف والإنتاج العراقي للأفلام الروائية الطويلة منذ سنوات لم يتعدّ حاجز الصفر في كل عام في بلد يجلس على بحار من الثروة لا ينفق منها فلسا واحدا على الإنتاج السينمائي ولا يوجد فيه ولا تعترف الجهات الحكومية بالسينما أصلا ولا تقيم لها وزنا وليس في برامجها أي صندوق لدعم السينما.

والحاصل أن الأفلام العراقية القصيرة التي ينجزها شباب طموحون هي ليست إلا بجهودهم الشخصية وبميزانيات بسيطة يخرجونها من جيوبهم ولا أحد يهتم كيف أنجز ذلك المخرج فيلمه تحت قيض لاهب تصل الحرارة فيه إلى 50 درجة مئوية ووسط كارثة وبائية تفتك بالناس.

> المهرجانات السينمائية العراقية متكاثرة ومتزاحمة وبين حين وآخر يظهر مهرجان جديد باسم جديد لكنها بلا تأثير

بالطبع لا يعنى المنظمون لهذه المهرجانات بتوقف مهرجانات عالمية مهمة أو في الأقل اتخاذها أقصى تدابير الوقاية الصحية من فحص مسبق لدرجة حرارة الداخلين أو حيازتهم التلقيح الكامل وارتدائهم الكمامات وترك مسافات بين بعضهم البعض، كل ذلك لا يحضر في المهرجانات العراقية المتكاثرة المتزاحمة وبين حين وآخر يظهر مهرجان جديد باسم جديد.

خلال ذلك نجد أن الحكومة والوزارة المعنية ومؤسسة السينما كلهما تنأى بأنفسها عن نشاطات كهذه فلا يظهر لها صوت لا هي معها فتدعمها بالمال الكافي وتساعد القائمين عليها وتساهم بتطويرها، ولا هي ضدها فتؤاخذ عليها ضعف وقلة الإنتاج المحلي وتعريض حياة الحاضرين إلى الخطر بسبب عدم مراعاة المحاذير الصحية.

وفي تجارب عربية وغير عربية هنالك دروس يمكن الاستفادة منها، ومثال على ذلك في المغرب هنالك مؤسسة حكومية هي المركز السينمائي هو الذي يشرف بنفسه على المهرجانات السينمائية وهو الذي يجيزها وهو الذي يخصص للمهرجانات المجازة ميزانيات سنوية ثابتة ويصنف المهرجانات على مستويات متعددة، لكن المعنيين بالأمر يبدو أنه ليس من أولوياتهم ترشيد ذلك النشاط المهرجاني في تلك البلاد تاركين الناس في مهب الريح، أفلام بلا دعم ومهرجانات تتكاثر بطريقة عشوائية وحرّ لاهب وفايروسات لا ترحم.

* ط. ع

أسرار السياسيين تغري السينمائيين والجماهير